خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٤/٥/١٧

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين

كان الحديث جاريا عن سرية الرجيع، وفيما يلي مزيد من التفاصيل الواردة في الأحاديث وكتب التاريخ. وقد جاء تفصيل سرية الرجيع في صحيح البخاري كما يلي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشَرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ ... فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَأَةِ وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ كُلُّهُمْ رَامٍ فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ (أي الصحابةُ) مِنَ الْمَدِينَةِ. فَقَالُوا (أي قال بنو لحيان) هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ فَلَمَّا رَآهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ فَقَالُوا لَهُمْ انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ وَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا. قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ. اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ. فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةٍ. فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ مِنْهُمْ خُبَيْبٌ الْأَنْصَارِيُّ وَابْنُ دَثِنَةَ وَرَجُلٌ آخَرُ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ. فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ وَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكُمْ إِنَّ لِي فِي هَؤُلَاءِ لَأُسْوَةً. يُرِيدُ الْقَتْلَى. فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى فَقَتَلُوهُ فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَابْنِ دَثِنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ. فَابْتَاعَ خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ. وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا.

صحيح أن الرواية الواردة في صحيح البخاري المذكورة آنفا تقول بأن هذه الجماعة كانت تتكون من عشرة صحابة تستطلع الظروف، وكانوا يتنقلون من هنا إلى هناك سرا، ولكن امرأة عرفت التمر وأثارت ضجة، فهاجمهم العدو. ولكن يقول معظم كتّاب السِّير إن هذه الجماعة كانت جاهزة للانطلاق بهدف استطلاع الأمور و لم تكن قد انطلقت بعد حتى بعثهم النبي ﷺ مع وفد قادم.

وقد استنبط سيدنا المصلح الموعود ومرزا بشير أحمد رضي الله عنهما من بعض كتب التاريخ وقالا إن هذه الجماعة ذهبت مع الوفد. لذا يتبين مما ذُكر في صحيح البخاري وكتب السيرة عن سفرهم سرا إنما هو سهو من الرواة، لأنهم ما كانوا بحاجة للتستر بل كانوا ذاهبين الآن مع أناس من عضل وقارة، غير أنه يمكن الظن حتما أنهم لما وصلوا إلى ما بين عسفان ومكة، أطلع أناس- من عضل وقارة الذين كانوا قد جاؤوا بهم نتيجة مؤامرة – ناقضين العهد بني لحيان بحسب مؤامرة مدبَّرة سلفا. فوصل بنو لحيان إلى هناك مع مئتي مهاجم، والله أعلم بالصواب.

على أية حال إن مئتي رجل من بني لحيان ومن بينهم مئة من الرماة الماهرين هاجموا الصحابة، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد، وفي لفظ قردد.

فأحاط المشركون الصحابةَ وقالوا: "لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلا، إنا والله لا نريد قتلكم، إنما نريد أن نصيب منكم شيئا من أهل مكة".

فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، لأنني نذرت ألا أنزل في ذمة كافر ما بقيت حيا. وكان الجواب نفسه لصاحبيه أيضا أننا لن نقبل ذمة أي مشرك ولن نقبل عهودهم. وهنا دعا عاصم: اللهم أخبر عنا رسولك. ثم بدأ القتال بينهم.

فكان أمير الجيش عاصم يقاتل بشجاعة كبيرة وينشد أبياتا:

مَا عِلَّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلُ وَالْقَوْسُ فِيْهَا وَتَرٌ عُنَابِلُ
تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا المَعَابِلُ الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ
وَكُلُّ مَا حَمَّ الْإِلٰهُ نَازِلُ بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إِلَيْهِ آئِلُ
إِنْ لَّمْ أُقَاتِلْكُمْ فَأُمِّي هَابِلُ

لقد ظل جميع هؤلاء الصحابة يواجهون العدو بكل شجاعة وثبات. وأخذ عاصم يرمي بهم حتى فنيت نبله، ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه، و لم يبق معه سوى سيفه. فلما تيقن من موته خاف على ستره لأن الأعداء إذا قتلوا عدوهم مثّلوا بجثته وعرّوها، فدعا الله تعالى قائلا: "اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحمِ لي لحمي آخره." ثم انشغل في قتالهم بعد هذا الدعاء فجَرح رجلَين منهم وقتل واحدًا، حتى حان أجله فاستشهد مع ستة من أصحابه الآخرين.

كتب حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ هذه الواقعة كما يلي:

لقد جهّز النبي ﷺ في شهر صفر ٤ للهجرة مجموعة من عشرة من صحابته تحت قيادة عاصم بن ثابت وأمرهم بالتوجه إلى مكة سرًّا وجمعِ معلومات عن خطط قريش وتحركاتهم. لم تكن هذه المجموعة قد انطلقت بعدُ حين جاء بضعة أشخاص يمثلون قبيلتي عضل وقارة إلى النبي ﷺ وقالوا له بأن العديد من أبناء قبيلتهما يميلون نحو الإسلام، ثم طلبوا من النبي ﷺ أن يرسل بعض قومه ليعلّموهم تعاليم الإسلام،

سُرّ النبي ﷺ برغبتهم وأرسل معهم المجموعة التي كانت تستعد للإنطلاق لجمع المعلومات الاستخباراتية عن قريش. وتبين لاحقًا أن هؤلاء المبعوثين كانوا كاذبين وإنما جاؤوا إلى المدينة بتحريض من بني لحيان الذين لجأوا إلى هذه الحيلة بغرض الثأر لمقتل زعيمهم سفيان بن خالد، وكانوا ينوون مهاجمة المسلمين إذا استطاعوا خداعهم للخروج من المدينة. وكان بنو لحيان قد وعدوا هؤلاء الناس من عضل وقارة بعدد كبير من الجِمال مكافأة لهم.

فلما وصل هؤلاء المبعوثون الغدارون من بني عضل وبني قارة مع هذه المجموعة من المسلمين بين مكة وعسفان، أرسلوا تلميحًا إلى بني لحيان أنهم يسيرون مع عشرة من المسلمين فأسرعوا اللحوق بنا، فخرج ٢٠٠ مقاتل من بني لحيان، مئة منهم خبراء في رماية السهام، وأحاطوا بهذه المجموعة من المسلمين في الرجيع. كيف لعشرة أن يقاوموا مئتي مقاتل، ولكن لم يُعلَّم المسلمون الاستسلام قط، فعندما رآهم هؤلاء الصحابة لجأوا إلى مكان مرتفع واستعدوا لمواجهتهم. فنادى عليهم الكفار –الذين لا يرون الخداع معيوبًا– أن ينزلوا من المرتفَع وأكدوا لهم أنهم لن يقتلوهم. فرد عاصم بأنه لا يمكنهم الوثوق بهم وأنهم لن ينزلوا أبداً بذمتهم، ثم رفع وجهه نحو السماء ودعا الله: "اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما أتى إلينا." باختصار، قاتل عاصم وأصحابه واستشهدوا أخيرًا مقاتلين ومحاربين. كيف تم الحفاظ على جثة عاصم بن ثابت وفق ما دعا الله تعالى أن يحمي لحمه؟ يقول عنه حضرة مرزا بشير أحمد مزيداً:

يروى ضمن روايات واقعة الرجيع أنه عندما علمت قريش أن عاصم بن ثابت كان من بين الذين قُتلوا على يد بني لحيان في الرجيع، تذكروا أن عاصمًا، قد قتل شخصية رائدة من قريش في معركة بدر، فأرسلوا رسلهم الخواص إلى الرجيع ليحضروا رأس عاصم أو أحد أطراف جسده، حتى يشفوا غليل ثأرهم منه.

ويروى أيضاً أن سلافة بنت سعد والدة مَن قتله عاصم، قد نذرت أن تشرب الخمر في جمجمة قاتل ابنها، وأعلنت عن مكافأة قدرها مئة جمل لمن يأتي برأس عاصم. (كانوا إلى هذا الحد المتفاقم يكنّون نار الثأر والانتقام) ولكنه حدث أمر بتصرف من الله، إذ حين وصل مبعوثو قريش إلى الرجيع وجدوا أن جثة عاصم مغطاة تمامًا بأسراب من الزنابير والنحل ولا تتحرك عنها بأي شكل من الأشكال، فإنهم لم يتمكنوا من إزاحتها عنه رغم بذل كل ما في وسعهم لذلك. وأخيرًا عاد هؤلاء خائبين خاسرين، بعد ذلك بفترة قصيرة نزلت أمطار غزيرة أحدثت فيضانًا شديداً جرف جثة عاصم.

وقد سُجل في التاريخ أنه عندما اعتنق عاصم الإسلام قرر الامتناع تماماً عن كل ما له علاقة بالوثنية، لدرجة أنه تعهّد بأنه لن يلمس حتى مشركاً. فعندما علم عمر باستشهاده وبالحفاظ على جثته قال:

كيف يقدّر الله إخلاص المؤمن ومشاعره فقد حقق لعاصم حتى بعد موته ما تعهد به مع نفسه وحفظه من مس المشركين.

ويلقب عاصم بحَمِيِّ الدَّبْرِ، أي الذي نُجّي بواسطة الدبر والنحل. وقد حفظه الله تعالى بعد موته بواسطة الدبر.

ثم ذُكر عن استشهاد معتّب بن عبيد والمظلومين الآخرين، فقد ورد أن معتّب بن عبيد أصيب بجروح خطيرة أثناء القتال. وتمكن الأعداء من الوصول إليه ونال الشهادة أيضًا. وعلاوة عليه فقد استشهد خمسة من رفاقه أيضًا بسهام العدو أثناء القتال، وهكذا استشهد سبعة من هؤلاء الصحابة.

وبقي ثلاثة منهم فقط، أي سيدنا خبيب بن عدي وسيدنا زيد بن الدثنة وسيدنا عبد الله بن طارق، فقال لهم الكفار: لكم العهد والميثاق إن نزلتم ونقدم لكم الأمان، فاستسلموا، فنزلوا إليهم لكن الكفار فور نزولهم أمسكوا بهم ثم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال عبد الله بن طارق: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لي بهؤلاء الشهداء لأسوة، فجرُّوه وبذلوا جهودا ليسير معهم، فأبى أن يصحبهم فقتلوه.

ورد في بعض الروايات أن الكفار أسَروا هؤلاء الثلاثة وساروا بهم إلى مكة ليبيعوهم لأهل مكة. فلما وصلت هذه القافلة إلى مر الظهران وهو موضع على بُعد اثنين وعشرين كيلو مترا شمال مكة، انتزع عبد الله بن طارق نفسه وأخذ سيفه وعزم على المقاومة، فلما رأى الأعداء حماسه للجهاد استأخروا عنه ورمَوه بالحجارة حتى قتلوه، فقبْره بمر الظهران.

يقول حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ عن ذلك:

حين استُشهد منهم سبعةٌ وبقي خُبيب بن عدي وزيد بن الدَّثِنَة وصحابي آخر. استرلهم الكفار مرة أخرى، ووعدوهم أنهم لن يضروهم إذ كانوا يتمنون أسْرهم أحياء، فانخدع هؤلاء المسلمون البسطاء هذه المرة ووقعوا في فخهم فنزلوا. لكن الكفار فور نزولهم اعتقلوهم بأوتار قسيهم. عندها لم يطق رفيق خبيب وزيد- وذُكر اسمه في التاريخ عبد الله بن طارق- الصبرَ وقال للكفار هذا أول نقض للعهد منكم ولا ندري ماذا ستفعلون بنا لاحقا، فرفض المشي معهم، فجرّوه قليلا وضربوه ثم قتلوه وتركوه هناك. فلما كان انتقامهم قد حصل فقد أخذوا معهم خبيبا وزيدا إلى مكة إفراحا لقريش وطمعا في المال، ثم باعوهما في مكة، إذ قد ابتاع خبيبا أولادُ الحارث بن عامر بن نوفل، لأن خبيبا كان قد قتل الحارث في بدر، أما زيد فاشتراه صفوان بن أمية.

لقد أسر المشركون سيدنا خبيب بن عدي وسيدنا بن الدثنة، وأخذوهما إلى مكة، وهناك باعوهما، فاشترى أولاد الحارث بن عامر سيدنا خبيبا كما ذكر سابقا، لكي يأخذوا ثأر أبيهم الحارث، الذي كان سيدنا خبيب قد قتله يوم بدر.

يقول ابن إسحاق أن حجير بن أبو إيهاب التميمي كان قد اشترى سيدنا خبيبا وكان حليف أولاد الحارث، فاشتراه منه عقبة بن الحارث، ليأخذ ثأر أبيه، وقيل إن عقبة بن الحارث كان قد اشترى سيدنا خبيبا من بني النجار، وقيل أيضا أن أبا إيهاب وعكرمة بن أبي جهل وأخنس بن شريق وعبيدة بن الحكيم وأمية بن أبي عتبة وبنو الحضرمي وصفوان بن أمية كلهم معا اشترَوا سيدنا خبيبا، وكل هؤلاء قد قُتل آباؤهم في معركة بدر، فاشتروا سيدنا خبيبا وسلَّموه لعقبة بن الحارث، وهو حبسه في بيته.

يقول ابن هشام أنهم باعوا سيدنا خبيبا وسيدنا زيد بن الدثنة بأسيرَين من هذيل كانا بمكة.

وفي رواية أن زيدا بِيع بمثقال من ذهب ويقال بخمسين بعير، وبيع سيدنا خبيب أيضا بخمسين بعير، وفي بعض الروايات أن سيدنا خبيبا بيع بمئة بعير، وفي رواية أنه بيع بثمانين مثقالا من ذهب.

ويقال اشترك فيه ناس من قريش ودخلوا بهما في الشهر الحرام في ذي القعدة فحبسوهما حتى انقضت الأشهر الحرم. ولقد تناولت التفصيل عن الأشهر الحرم في الخطبة الماضية أيضا.

قال ابن اسحاق وابن سعد: اشترى زيدا صفوانُ بن أمية، ليقتله بأبيه أمية بن خلف وقد أسلم صفوان بعد ذلك، وحبسه عند ناس من بني جمح ويقال عند عبده نسطاس.

فلما انسلخت الأشهر الحرم بعثه صفوان مع عبده نسطاس إلى التنعيم، وهو مكان على مسافة ثلاثة أو أربعة أميال من مكة إلى طريق المدينة والشام، وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع رهط من قريش، منهم أبو سفيان بن حرب.

حين جيء به للقتل، قال أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي.

فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد له.

ثم قتل نِسْطاس زيدا ﷺ. وفي رواية أن نسطاسا وأناسا آخرين من قريش أخذوا يرمونه بالسهام حتى استُشهد. أما نِسطاس هذا الذي قتل زيدا فقد أسلم فيما بعد.

وقال ابن عُقبة: استُشهد زيد وخبيب في يوم واحد. وفي اليوم الذي لقيا مصرعهما سُمع رسول الله ﷺ وهو يقول: وعليكما السلام.

لقد سرد حضرة مرزا بشير أحمد هذه الواقعة كالآتي:

أخذ صفوان بن أمية أسيرَه، زيدَ بنَ الدَّثِنَة، خارجَ حدود الحرم، مع جماعة من كبار قريش، وأمر عبْدَه نِسطاس بقتل زيد. فتقدم نِسطاس ورفع سيفه، وفي تلك اللحظة تقدم أبو سفيان بن حرب، الذي كان من بين المتفرجين، نحو زيد وقال له: "أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن وتُضرَب عنقه مكانَك، وأنك فرحان بين أهلك"- فقال زيد وهو غضبان: "والله يا أبا سفيان، ما أُحِبُّ أن

محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه وتصيبه شوكة تؤذيه وأنا أنجو بنفسي"ـ فقال أبو سفيان عفوىا: "والله ما رأيتُ من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً". ثم قتل نسطاس زيدا ﷺ.

ولقد كتب حضرة المصلح الموعود ﷺ عن واقعة القتل هذه: كان أحد هؤلاء المتفرجين أبو سفيان؛ سيد مكة، فالتفت إلى زيد وسأله: "ألا يسرّك أن يكون محمد في مكانك لنضرب عنقه بينما تكون أنت مرتاحا بين أهلك"؟ فرد عليه زيد بغضب واستنكار: ماذا تقول يا أبا سفيان؟ لا والله، ما يسرّني أني في أهلي وأن رسول الله في مكانه في المدينة تصيبه شوكة تؤذيه. فبُهت أبو سفيان لهذا الإخلاص والحب، ونظر إلى زيد مذهولاً وقال بصورة عفوية ولكن في نبرة حذرة: والله ما رأينا أحدًا يحبّ أحدًا مثل ما يحبّ أصحابُ محمد محمدًا.

وكتب أحد أصحاب السِّيَر عن استشهاد خُبيب ﷺ: كان خبيب رضي الله عنه عند حُجير بن إيهاب، وكان أسيرا في دار أولاد الحارث بن نوفل، فعاملوه بقسوة، فقال لهم خبيب ﷺ: لا يعامل قوم كرام أسيرهم هكذا. فتأثر هؤلاء الكفار بقوله وبدأوا يحسنون معاملته.

قال ابن شهاب قال عُبَيْدُ اللَّه بْنُ عِيَاضٍ إن بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا، أي أجمعوا على قتل خبيب، اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ إياها، فَذهب ابْنٌ لِي إلى خبيب وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ، قَالَتْ فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي فَقَالَ: تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ، لأن المسلمين يوفون بالعهد ولا يظلمون. قالت بنت الحارث: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ. وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ. وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللَّهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا. فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: ذَرُونِي أَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ" لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، أي لولا خوفي أن تظنوا أني قد طولت الصلاة خوفا من الموت لصليتها طويلا و لم أخففها.

ثم إنه دعا على الأعداء وقال: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا. ثم أنشد:

ولستُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

لقد سرد حضرة مرزا بشير أحمد أحوال أسر خبيب ﷺ كما يلي؛ بينما كان هذان الصحابيان في أسر قريش، استعار خبيب من ابنة الحارث موسى للاستحداد، فآتته إياها.

فلما كانت هذه الموسى بيد خبيب، جاء طفل صغير السن لبنت الحارث وهو يلعب إلى خبيب، فأجلسه خبيب على فخذه. وعندما رأت الأم أن خبيبا يحمل موسى في يده والطفل جالس على فخذه، ارتعبت وشحب لون وجهها. رآها خبيب وفهم خوفها وقال: هل تظنين أني سأقتل هذا الطفل؟ لا تظني ذلك،

لن أفعل ذلك إن شاء الله. وبكلام خبيب ظهر الاطمئنان في وجه الأم اليائس. وقد أعجبت هذه المرأة بأخلاق خبيب العالية لدرجة أنها كانت تقول فيما بعد إنني لم أر سجينًا بمثل أخلاق خبيب.

وكانت تقول أيضًا إني رأيت في يد خبيب يومًا عنقودًا من العنب، كان يأكل منه العنب، مع أنه في تلك الأيام لم يكن بمكة عنب قط، وخبيب كان مقيدا بسلاسل من حديد. كانت تقول إنني أعتقد أن هذا كان رزقا من الله جاء إلى خبيب.

وفي رواية أخرى ورد حادث سجن خبيب بن عدي كما يلي: كانت مَاوِيَّةُ مولاة حجير بن إيهاب. وهي التي كان خبيب بن عدي محبوسا في بيتها بمكة حتى تنقضي الأشهر الحرم فيُقتل. أسلمت ماوية فيما بعد فحسن إسلامها. وكانت ماوية تروي هذه القصة فيما بعد فتقول: والله ما رأيت أحدًا خيرا من خبيب. لقد اطلعت عليه من صير الباب وإنه لفي الحديد ما أعلم في الأرض حبة عنب تؤكل (أي لم تكن في تلك المنطقة عنب) وإن في يده لقطف عنب مثل رأس الرجل يأكل منه (أي كان عنقودا كبيرا، ويتبين من هذه الرواية أن هذا لم يحدث مرة بل حدث عدة مرات) وما هو إلا رزق الله. وكان خبيب يتهجد بالقرآن فكان يسمعه النساء فيبكين ويرققن عليه. قالت فقلت له: يا خبيب هل لك من حاجة؟ فقال: لا إلا أن تسقيني العذب ولا تطعميني ما ذبح على النصب (أي لا تعطيني ما تذبحون باسم الأوثان، والأمر الثالث هو) وتخبريني إذا أرادوا قتلي. فلما انسلخت الأشهر الحرم وأجمعوا على قتله أتيته فأخبرته، فوالله ما رأيته اكترث لذلك وقال: ابعثي إلي بحديدة أستصلح بها.

قالت فبعثت إليه بموسى مع ابني أبي حسين، قال الراوي: وكانت تحضنه ولم يكن ابنها ولادة، قالت: فلما ولى الغلام قلت أدرك والله الرجل ثأره، (أي ابني عنده وفي يده موسى فسوف ينتقم) أيّ شيء صنعت؟ بعثت هذا الغلام بهذه الحديدة فيقتله ويقول رجل برجل. فلما أتاه ابني بالحديدة تناولها منه ثم قال ممازحا له: وأبيك إنك لجريء، أما خشيت أمك غدري حين بعثت معك بحديدة وأنتم تريدون قتلي؟ قالت ماوية: وأنا أسمع ذلك، فقلت: يا خبيب إنما ائتمنتك بأمان الله وأعطيتك بإلهك ولم أعطك لتقتل ابني. فقال خبيب: ما كنت لأقتله وما نستحل في ديننا الغدر. قالت ثم أخبرته أنهم مخرجوه فقاتلوه بالغداة. قالت فأخرجوه في الحديد حتى انتهوا به إلى التنعيم (وكما قلت هو مكان قريب من مكة على بعد ثلاثة أميال) وخرج معه الصبيان والنساء والعبيد وجماعة أهل مكة (لرؤية مشهد قتل خبيب) فلم يتخلف أحد إما موتور فهو يريد أن يتشافى بالنظر إلى وتره وإما غير موتور فهو مخالف للإسلام وأهله. (لكي يظهروا عداءهم للإسلام ويفرحوا برؤية مقتل خبيب) فلما انتهوا به إلى التنعيم ومعه زيد بن الدثنة أمروا بخشبة طويلة فحفر لها، فلما انتهوا بخبيب إلى خشبته قال: هل أنتم تاركي فأصلي ركعتين؟ قالوا: نعم. فركع ركعتين أتمهما من غير أن يطول فيهما. (كما قلتُ لم يطوّل لكيلا يظنوا أنه يخاف الموت فيطول في الصلاة.)

وبحسب الحديث الذي ذكرتُه عن ابن سعد كانت ماوية مولاة حجر بن أبي إيهاب التي كان خبيب محبوسا في بيتها. وبحسب العلامة ابن عبد البر، كان خبيب مسجونًا في منزل عقبة وكانت زوجة عقبة تزوده بالطعام وتفكه وقت الطعام.

على كل، كانت هذه تضحيات هؤلاء الناس وكانوا لا يخافون الموت وكان هؤلاء الصحابة دائمًا على استعداد للتضحية بحياتهم من أجل الإسلام. وهناك المزيد من ذكر هذه السرية سأذكرها لاحقا إن شاء الله.